

التقيين في العصر العباسي بالاعتماد على رسالة القيان للجاحظ

بقلم : محمد المختار العبيدي

نشط العراق في القرون الثلاثة الأولى نشاطاً منقطع النظير جعل منه بحق مقراً للخلافة الإسلامية بعد نقلها من دمشق ، ومركزاً لمختلف الأنشطة الفكرية والعلمية ما تعلق منها بالدين أو الفلسفة أو اللغة والأدب . وما كان للعراق أن يعرف حركة فكرية وعلمية متطورة كالتّي عرفها في القرنين الثاني والثالث لولا امتزاج العجم بالعرب « امتزاجاً حسياً بالتزّأوج والتّناسل والخلطة الدموية وامتزاجاً نفسياً بالعادات والأخلاق والتقاليد ثم العلوم ومظاهر الحضارة وشيء من الآداب » (1) . وقد ظهر الامتزاج على أشده في العصر العباسي بُعيد سقوط الدولة الأموية . فقد أعان الفرسُ العباسيين على الإطاحة بالأمويين وظاهروهم سرّاً وعلانية لا حبّاً في الهاشميين وحقداً على بني أمية الذين قسوا عليهم وإنّما لإضعاف شوكة العرب جميعاً واستعداداً لاسترجاع نفوذ دولة الأكاسرة . ومن الطبيعي أن ينال الفرس أوفى الجزاء على حسن صنيعهم مع العباسيين . فقد بوأهم العباسيون أسمى المناصب

(1) أحمد الشايب : أبحاث ومقالات ص 301 القاهرة 1946 .

وخصّوهم بالخطط الوزارية وجعلوا منهم مستشارين في أمور السياسة وتسيير الدولة . وقد وازى انتصار الفرس السياسي انتصاراً ثانٍ أقوى من الأوّل وأشدّ تأثيراً تمثل في هذه الأخلاق والعادات الجديدة التي أدخلوها على العرب - وما كان لهم بها عهد - يريدون بها فرض سلطانهم عليهم من جهة وإضعاف دين العرب وتغيير قيمهم وعاداتهم من جهة أخرى . فنشروا بينهم فكرة الزندقة والإلحاد وحبّبوا إليهم الشهوات والقيان والغلمان ، ولنا في شعر بشار بن برد (96 هـ - 166 هـ) وشعر أبي نواس (145 هـ - 199 هـ) أحسن مثال على ذلك .

وقد تجلّى تأثير الفرس في العرب في إدخال جملة من العادات الجديدة عليهم ونشر جملة من الأنشطة الاجتماعية التي لم يألّفوها بين ظهرانيهم ، فكانت ظاهرة التقيين من أهم الظواهر الاجتماعية التي عرفها المجتمع العباسي في القرنين الثاني والثالث نتيجة تأثره بالفرس . ولئن عرف العرب القينة في القديم وتغلّزوا بالجواري في الشعر فإنهم لم يعرفوا ظاهرة التّقيين بمثلها عرفوها ببغداد في القرنين الثاني والثالث للهجرة . فمما لا ريب فيه أنّ القيان قد وُجدن في الجاهلية كما تُشيرُ الى ذلك أشعار القيان الكثيرة التي أحتفظ لنا بها الأصفهاني في الأغاني وقد أعتنى بها وتقصّها في مظانّها الباحث ناصر الدين الأسد في كتابه « القيان والغناء في العصر الجاهلي » . إلّا أن ازدهار حركة التّقيين باعتبارها « صناعة كريمة شريفة » على حدّ عبارة الجاحظ الساخرة ، وآلتام شمل القيان في رابطة مهنية تجمع كلّاً من القيان والمقنين والربيطين لم يتحقّق إلا في العصر العباسي فقد « كان من الطبيعي أن يكون هناك من يلبي حاجات الدولة الجديدة بحياتها المستجدة وترّفها ورهف العيش فيها ويؤمن لها حاجاتها من كلّ ما يُشيعُ البهجة والمتعة والسّرور والأدب والطرب واللذة في مجالسها وأنديتها . وهل يكون ذلك إلّا بتلك المخلوقة التي جعلت لها الحياة

الجديدة دوراً مهماً بل دوراً خطيراً في المجتمع العربي» (2). وليس غريباً أن كان للخلفاء قيان كثيرات اشتروا بعضهن وأهديت لهم بعض أخريات وقد يَبُّ القيان أنفسهن للخلفاء ليتمتعوا بحسنهن وجمالهن وليحظين هن - مقابل ذلك - بمتاع الدنيا ونعيمها. فهذا الرشيد يقول عن نفسه « وقد اشتهيت أن أرى ندمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد يأكلون ويشربون ويتبذلون منبسطين على غير هيئة ولا احتشام ، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم وهذا لا يتم إلا بأن أكون بحيث لا يروني عن غير علم منهم برؤيتي إليهم » (3). وإن أخبار القيان الواردة في « كتاب الأغاني » لا تكفي وحدها للظفر بفكرة واضحة عن ظاهرة التقيين باعتبار أن الأخبار في الأغاني متناثرة متفرقة من ناحية وأن العلاقة التي تجمع الثالث الذي أقيمت عليه مهنة التقيين من مقين وقينة وربيط لم يقصد إليها الإصفهاني ولا تناولها بنفس الوضوح الذي تناوله بها الجاحظ في رسالة القيان من ناحية أخرى. وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن رسالة القيان للجاحظ - وقد كتبها صاحبها في مستهل القرن الثالث كما سنبين - من أهم المصادر التي يمكن اعتمادها للكشف عن هذه الظاهرة وعن مختلف العلاقات التي تجمع بين الأصناف البشرية الثلاثة التي ذكرنا .

وسنحاول فيما سيأتي تناول ظاهرة التقيين بالاعتماد على رسالة القيان للجاحظ المعروفة بـ « كتاب القيان » التي حققها لنا كاملة مع جملة من رسائل الجاحظ الأخرى الباحث الثبت عبد السلام هارون * .

(2) على محمد هاشم : « الأندية الأدبية في العصر العباسي » ط 1 ص 204 دار الآفاق الجديدة بيروت 1982 م .

(3) الإصفهاني : الأغاني ج 237/21 دار مكتبة الحياة دار الفكر 1956 م .
* أنظر : رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون جزءان . القاهرة 1964 م .

لا نعرف بالضبط متى كتب الجاحظ « كتاب القيان » إلا أننا نكاد نجزم أنه أَلَفَهُ في الربع الأول من القرن الثالث الهجري وذلك لسببين اثنين :
أولاً : لإقبال الخلفاء والوزراء وأولى الأمر - ممن عاصر الجاحظ وعاش ببغداد في الربع الأول من القرن الثالث - على حياة اللهو والمجون وشرائعهم القيان والغلمان والمجاهرة بذلك مما شجّع طائفة من الناس ولعل أشهرهم أولئك الذين صدر بهم الجاحظ رسالة القيان على تعاطي النخاسة وفتح دور اللذة والخلاعة للربيطين والمجان .

ثانياً : إذا ما صحّ أن الجاحظ أَلَفَ كتابه « طبقات المغنين » سنة خمس عشرة ومائتين كما ذَهَبَ إلى ذلك الدكتور طه الحاجري في فصله القيم : « رسالة القيان لأبي عثمان الجاحظ » المنشور بمجلة الفكر (4) فإن تاريخ كتابة « كتاب القيان » لا يبعد كثيراً عن هذا التاريخ إذ الكتابان كأثر واحد يصوران معاً حياة اللهو والمجون والغناء في بغداد .

رسالة القيان هي الرسالة الرابعة عشرة من رسائل الجاحظ في مجموعة « داماد » التي اعتمدها عبد السلام هارون وعنوانها « كتاب القيان » . والقيان إماء يُحسنُ الرقص والمداعبة والغناء ، تنشأ الواحدة منهن « من لَدُنْ مولدها إلى أوان وفاتها بما يصدّ عن ذكر الله من هو الحديث وصنوف اللعب والأخانيث وبين الخُلعاء والمُجان ومن لا يُسمَعُ منه كلمة جدّ ولا - يُرجع منه إلى ثقة ولا دين ولا صيانة مروّة » (5) . ولئن وردت الرسالة باسم القيان فإنها لم ترد على لسانها كما قد يوهم بذلك عنوانها . فقد وردت على لسان صنف من الناس لا معنى للقيان إلا به وهو صنف المقينين أصحاب الدور الضخمة الذين يتاجرون علانية بالقيان مشبهين أنفسهم بسائر التجار الذين يُفيدون الناس

(4) مجلّة الفكر التونسية العدد السادس مارس 1958 م .

(5) كتاب القيان ص 176 .

بسلعهم ويستفيدون من أموالهم ، وينضاف الى هذين الصنفين صنف ثالث هو صنف المستهلكين أو من يسميهم الجاحظ بالبريطين وهم المربطون بأندية المقينين يبحثون عن اللذة يشترونها بالمال وقد لا يُصيّون منها إلّا قُبْلَةً مُختلِسةً أو بسمّة مداهنةٍ أو حتى غمزة عابرة . فالعلاقة متينة بين هذه الأنماط البشرية التي كثر عددها واستفحل أمرها في بغداد في القرن الثالث الهجري . وقد ساعد على ظهور هذا النشاط كثرة الرقيق من ناحية وما كان عليه المجتمع البغدادي من ترف وهو يصلان إلى حدّ الإستهتار من ناحية ثانية .

و الرسالة موجّهة من جماعة من المقينين بعضهم ذكر الجاحظ أسماؤهم في صدر الرسالة وبعضهم الآخر عرفهم بقوله : « من أبي موسى بن اسحاق بن موسى ومحمد بن خالد و . . . أخوانهم المستمتعين بالنعمة والمؤثرين للذة المتمتعين بالقيان والإخوان » (6) . فهؤلاء مقيّنون قد جمعت شتاتهم ووحدت صفهم أخوة من نوع جديد ، أرادوها في رتبة سواء والأخوة الحقيقية أو الأخوة في الدين وهي أخوة في الشهوة واللذة في مجال رابطة مهنية جديدة تسمى رابطة التقنين . ومن البدء نقف على سخرية الجاحظ من هؤلاء المقينين واستخفافه بهم فهم عنده بعد ذلك : « راغبون عن قبول شيء من الناس أصحاب الستر والستارات والسّرور والمروءات » (7) وهذه صفات ليست فيهم وإنما انتحلها لهم الجاحظ ليعرّض بهم ويبرز عيوبهم فهي ذم بما يشبه المدح واستهجان باطني يُخفّيه استملاح ظاهري . فالرسالة موجّهة من مقينين رغبوا في الدفاع عن أنفسهم وفرض تجارتهم حتى لا تبور سلعهم ، وحرصوا على دفع الناس الى اعتبارها تجارة حلالاً إذ لا نصّ يجرّمها في اعتقادهم ولا حديث ينكرها . فالرسالة موجّهة من هؤلاء جميعا إلى من أسموهم بـ « أهل الجهالة والجفاء

(6) نفس المرجع ص 143 .

(7) نفس المرجع ص 143 .

وغلظ الطبع وفساد الحسّ « (8) . وانطلاقاً من هنا يبدأ الدفاع عن جماعة المقينين والقيان والريّطين فإن كان الريّطون ينساقون الى القيان بفضل ما لهم من سلامة ذوق ورهافة حسّ وفيض شوق فإن الجافين لهم يرغبون عنهم لِعِلْظَةِ في الطبع وفساد في الحسّ وجهل لبعض النعم . ومن المقدمة ندرك أن سلك المقينين كان منبوذاً رغم كثرة عدده . فقد كانوا عرضة لنقد معارضيههم وتشنيعهم بهم ونفي الرجولة والغيرة عنهم . وليس للغيرة في نظر هؤلاء وجه من وجوه الحرام وحتى الحجاب نفسه فلم يكن موجوداً بين الرجل والمرأة وإنما هو أمر خاص بزوجات الرسول بدليل الأخبار التي يسوقونها للبرهنة على صحّة أقوالهم ، فالجلوس مع النسوة والحديث إليهنّ ممّا تبيحه الشرائع ولم تقل بحرمتها إلا الحشوية . يقول المقينون : « فلم يزل الرجال يتحدثون مع النساء في الجاهلية والإسلام حتّى ضُرب الحجاب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصّة . . . ثم كانت الشرائع من النساء يقعدن للرجال للحديث ولم يكن النظر من بعضهم الى بعض عاراً في الجاهلية ولا حراماً في الاسلام (9) . ولعل حجة الرافضين لسلك المقينين القائلين بفساد ظاهرة التقين وخطرها على المجتمع قائمة على كَوْنِ القيان يَتَبَرَّجْنَ ويغنين ويعرضن زينتهن لغير بعولتهن فَيُسْتَمَعَ اليهن ويُنظر إلى أجسادهن ومن ثم تكون الغواية ، وَيَرَى الْمُقَيِّنُونَ أن لا مانع يحجّر ذلك وَيُقَدِّمُ الجاحظ على ألسنتهم من الحجج والأدلة لفرض آرائهم ما يقنع حيناً وما لا يقنع حيناً آخر .

تقع الرسالة في جزئين كبيرين : الأول في بيان حليّة التقين ودحض حجج الخصم وهو قسم يكثر فيه الجدل والمحااجة ومحاولة الإفحام . وهذا ليس بالأمر الغريب على المقينين إذا علمنا أن الذي أنطقهم ويبيّن حججهم هو

(8) نفس المرجع ص 143 .

(9) عتاب القيان ص 148 .

الجاحظ المعروف بدقة الملاحظة وتعميق الفكرة وبعد النظر وبلاغة العبارة . أما القسم الثاني فهو أهم ما في هذه الرسالة باعتباره تصويراً دقيقاً لعالم القيان وسلوكهنّ أثناء القيام بعملهن وقد بدت في هذا القسم الأنماط البشرية الثلاثة واضحة بجلاء وهي المقيّن المستأجر والقينة المستأجرة والربيط المستهلك .

ومكان الجمع بين هؤلاء جميعاهو دار أو دَيْر تُتعاطى فيها اللذة والمآكل والمشارب في ستر كامل . والعلاقة بين الأصناف الثلاثة تأخذ شكل المثلث كل زاوية فيه تؤدي الى الزاوية التي تليها . الصنفُ الأول بالأبدان متاجر والثاني مغلوب على أمره مساير والثالث إلى اللذة مهاجر . تكون الأصناف الثلاثة مع بعضها البعض عالماً مشتركاً هو عالم المجون والخلاعة ، ولكل صنف خصائصه ومميزاته . والعلاقة بين المقيّن والربيط علاقة تاجرٍ مُبْتَاعٍ الأول يسعى الى التزيين والتجيب والثاني لا يقبل البضاعة إلا بعد « التقويم والتقليب » . أما القينة فهي موضوع المساومة والتقويم ودورها يتجلى في ضرورة عرض زينتها ومفاتنها على الربيط إذ عيشها وعيشُ المقيّن مستخدمهما متوقفان على مدى قوتها على التأثير والاغراء .

خاصية كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة :

الربيطون : هم أهل فنّ وذوق لأنهم قادرون أكثر من غيرهم على « استشفاف العلق » فهم يرتبون القيان ترتيباً يخضع لمقدار ما لهن من حسن وجمال . ولا كيل لهم يكيلون به الجمال ولا وزن لهم يزنون به وإغما وسيلتهم الوحيدة في ذلك هي عيونهم انّتي تعشق الجمال وتقدره حق قدره لكثرة ارتياد الربيطين دور المقيّنين واحتكاكهم بالنساء . « فلا يقف على ذلك (أي الجمال) إلا الثاقب في نظره الماهر في بصره الطبّ بصناعته فإنّ أمر الحسن أدقّ وأرقّ من أن يدركه كل من أبصره » (10) . ومن حقّ الربيطين مكالمة القيان ومرادتهن

وإشباع النظر منهن لأن النظر الى النساء عندهم حلال ولا يستلزم وقوفا عند النظرة الأولى ، فالأولى لهم ولا حرج عليهم من ثانية وثالثة . بل أكثر من ذلك فهم يحتاجون مع المقينين بالقرآن وبيعض التفاسير ليقولوا للناس إنّ اللمس والتقليب والتقبيل ممّا يسمح به الدين . فمن كلامهم في هذا الصدد : « وكذلك مكاملة القيان ومفاكتهن ومغازلتهن ومصافحتهن للسلام ووضع اليد عليهن للتقليب والنظر حلال ما لم يَشُبْ ذلك ما يَحْرُمُ . وقد استثنى الله تبارك وتعالى اللَّمَمَ فقال : « الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ » . قال عبد الله بن مسعود وسئل عن تأويل هذه الآية فقال : إذا دنا الرجل من المرأة فإن تقدّم ففاحشة وإن تأخر فلملم وقال غيره من الصحابة : القبلة واللمس ، وقال آخرون : الاتيان فيها دون الفرج » (11) . وليس غريبا أن يكون الربيطون من أحباء القيان والمدافعين عنهن لما توفره القيان لهم من جوّ مليح فيه الغناء وفيه الأكل والشراب وفيه التجميش والغُلْمَة .

* أما القينة فهي ممّوهة ساحرة خلّابة لأنها أدركت أن « خير النساء السواحر الخلّابات » كما جاء في الأثر ، وهي تتصنّع الحب حتى يُظَنّ أنها لم تعرف العشق إلا في تلك الساعة التي تجمعها بالربيط وهي تُظهر له من الفرج إلى طول مكوثه معها والحزن لفراقه ما يُوهّم بأن الصلة بينها تعود إلى ماضٍ جدّ قديم . وهي إلى هذا التمويه والمداهنة تُسمعه أعذب الألحان وأشجأها « وليس فيها ذكرُ الله إلا عن غفلة ولا ترهيب من عقاب ولا ترغيب في ثواب وإنّما بنيت كلّها على ذكر الزنى والقيادة والعشق والصبوة والشوق والغُلْمَة » (12) . وللقينة أكثر من قلب واحد فهي عاشقة للرجال فرادى

(11) المرجع السابق ص 164 .

(12) المرجع السابق ص 176 .

وجامعات والأمر بالنسبة إليها على غاية من البساطة ما دام العشق تمويها والحيلة حرفة « وربما اجتمع عندها من مَرَبُوطِيهَا ثلاثة أو أربعة على أنهم يتحامون من الاجتماع ويتغايرون عند الإلتقاء فتبكي لواحد بعين وتضحك للآخر بالآخرى وتَغْمِزُ هذا بذاك وتُعْطِي واحدًا سرّها والآخر علانيّتها وتُوهمه أنها له دون الآخر وأن الذي تُظهر خلاف ضميرها وتَكْتُبُ إليهم عند الانصراف كُتُبًا على نسخة واحدة تذكر لكل واحد منهم تبرّمها بالباقيين وحرصها على الخلوة به دونهم » (13) . فالقيينة على حظ كبير من الثقافة رغم تدني وضعها الاجتماعي فليس من السهل الهين أن تروي الحاذقة منهم أربعة آلاف صوت فصاعدا يكون الصوت فيما بين البيتين الى أربعة أبيات . وليس من السهل الهين أيضا أن تكون القينة خبيرة بِكَوَامِنِ النفوس تستجلي الخبر من العيون وتستكنه السر من الحركات والسلوك فهي - لكثرة مخالطتها للرجال - عَرِيفَةٌ بنفسياتهم تعلم عنهم في مسألة العشق والهوى أكثر مما يعلمون عن أنفسهم حتى أن المشاهد إذا شاهدها « رَامَتْهُ باللحظ وداعبته بالتبسم وغازلته في أشعار الغناء ولهجت بأقتراحاته ونشطت لِلشُّرْبِ عند شربه وأظهرت الشوق الى طول مكثه والصبابة لسرعة عودته والحزن لفراقه » (4) . فإذا كان الأمر بالنسبة الى القينة على هذا النحو جاز لنا أن نقول إن انتداب القينة في ذاك العهد كان بشروط منها جمالها وقدرتها على التمويه والمراوغة وحفظها لآلاف الأبيات من الشعر تشنّف به أسماع الرّواد وترغبهم به في نفسها وتخلق به جوا يناسب المقام هو جوّ العشق والصبوة والعُلمة والشوق .

* أما المقيّن فهو المستفيد أولا وآخرها فهو صاحب دار وقيان ينعم براحة البال ووفرة المال يأتيه رزقه من أيسر السبل حتى ولو كان ذلك على حساب ماء

(13) المرجع السابق ص 175 .

(14) كتاب القيان ص 174 .

الوجه . فله جَمْعُ ما تحنيه القينة من أرباح وله الهدايا والأطعمة والأشربة التي يبعث بها الربيطون الى القيان . « فالمقين يأخذ الجواهر ويعطي العرض ويفوز بالعين ويعطي الأثر وَيَبِيعُ الرِّيحَ الهابة بالذهب الجامد » (15) والمقين على حدّ عبارة الجاحظ السّاحرة الناقدة « مثل في هذه الصناعة الكريمة الشريفة » لأنه « يُعرض عن الغمزة وَيَغْفِرُ القبله ويتغافل عن الاشارة ويتعامى عن المكاتبه ويتناسى الجارية يوم الزيارة ولا يعاتبها على المبيت ولا يفصّ ختام سرّها ولا يسألها عن خبرها في ليلها ولا يعبأ بأن تقفل الأبواب » (16) .

فللمقين وجهان : ظاهر وباطن ، الظاهر يوحى بالغباوة والغفلة والسذاجة والباطن يُخفي يقظة وفطنة وسخرية من الزبائن ، فدَوْرُهُ دور كلّ تاجر يقبل المساومة ويُسّجع على التقلب والملازمة ولا يرى حرجاً في عرض كل البضائع للزائر لبيتاع منها واحدة فقط وقد لا يبتاع شيئاً وذاك من حقّه .

من هنا نتبين أن رسالة القيان وثيقة حضارية جدّ هامة تعكس لنا واقعاً اجتماعياً كان معروفاً في عصر الجاحظ وهو واقع جماعة من الناس لعلّ أمرهم قد استشرى في القرن الثالث فَلَجَّوْا إلى أيسر السبل لضمان عيشهم في مجتمع بغدادى انتشرت فيه العُلْمة وكثرت فيه الجوارى والغلمان وتداخلت فيه الأجناس والحضارات ، فكَوَّنوا لأنفسهم رابطة مهنية من نوع جديد حاولت أن تدافع عن مصالحها وتفرض وجودها وقَدَّمت من الحجج والبراهين على إثبات جِلِّيَّة عملها ما يؤكد عمق ثقافتها وكثرة أطلاعها .

وقد تعرّض الجاحظ لهذه الظاهرة في عصره في أسلوب فكّه تغلب عليه النكتة الخفيفة والموقف الساخر .

(15) نفس المرجع ص 178 .

(16) نفس المرجع ص 179 .

وشكل رسالة القيان منسوج على غرار شكل الرسائل التقليدية التي كانت متداولة بين الملوك والفقهاء والقادة . فمطلع الرسالة ينبيء القارئ بماهية المرسل وماهية المرسل إليه : « من فلان المعروف بكذا إلى فلان المعروف بكذا » . وعادة ما يكون المرسل ذا شأن في قومه ويدلّ على ذلك الصفة التي ترد مباشرة بعد اسمه ، أما هؤلاء المرسلون فنكرات مغمورون وأسماءهم جاءت لتؤكد صحّة نسبة الخبر إليهم من ناحية ولتؤكد على كثرة عددهم من ناحية ثانية ممّا يدل على أن رابطتهم كانت قوية في ذلك العصر ، وأن مهنة التقنين لم تكن أمرًا شاذًا ببغداد في عصر الجاحظ . والمقننون معترفون برابطتهم لا يجدون حرجًا في التصريح بأسمائهم في صدر الرسالة ثم هم أصحاب رأي وحجاج يكثر من الاستدلال والقياس مثلهم كمثل السفسطائيين همّهم إفحام خصومهم وإقناعهم بما يرونه هم حقًا ولو كان باطلا . ومن أساليب الاحتجاج في الرسالة الإكثار من استعمال عبارات من قبيل : « لو . . . لكان » ، « والدليل على . . . هو أن » « فإن قال قائل . . . قلنا » . كما توخّى الجاحظ على لسان المقننين الإطناب والتحليل والاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر فبدأ فيها عالمًا بكل شيء ملتمًا بحياة الناس اليومية عامّها وخاصها لذلك طالت الرسالة أكثر مما ينبغي إلّا أنّه رغم غزارة علمه وكثرة اطلاعه يبقى فيها كثير التبسّط والاستطراد وتلك خاصية من خاصيات الجاحظ في الكتابة .

محمد المختار العبيدي